12- الخطاب و القول :

من القضايا التي تعوق تحديد مفهوم دقيق للخطاب هو تداخله مع مصطلحات من قبيل النص والقول. تقول يمنى العيد :" و نحن اليوم أيضا نقول : قول شعري ، وحسب البعض خطاب شعري مقابل قولنا : قول أو خطاب سياسي ، و قول ، أو خطاب سردي، و قول ، أو خطاب تشريعي الخ مشيرين بذلك إلى جذر مشترك ، هو القول أو الخطاب مضيفين إلى هذا الجذر المشترك صفة الشعري ، أو السياسي، أو غير ذلك. مما يدل على تخصيص للقول أو للخطاب كأن للقول وجودا عاما أو سديميا أو وجودا على مستوى الحاجة لإنسان يعيش في زمان تاريخي، و في مكان اجتماعي، و من على هذا المستوى يتخصص القول في أجناس لها حقولها الثقافية المتميزة "[1]

لكنها ما تلبث أن تعمد إلى تمييز القول عن الكلام و الخطاب و النص " و عليه فإذا كان الكلام هو ما له صفة الفوضوي و المتوحش، و إذا كان الخطاب هو التوجه إلى آخر بمرسلة فإن القول هو ربما إضافة إلى هذا كله نبرة كتلة نطقية لها طابع الفوضى، و حرارة النفس، و رغبة النطق بشيىء بقول ليس هو تماما الجملة، و لا هو تماما النص بل هو فعل يريد أن يقول " [2].

وخلاصة القول إنه " فاعلية يمارسها متكلم يعيش في مكان اجتماعي، وفي زمان تاريخي، وهو من حيث هو كذلك ذو طابع تناقضي، هذا الطابع هو نفسه طابع العلاقات الاجتماعية بين الناس في المجتمع "[3].

إن اشتغال يمنى العيد على الشعر هو الذي دفعها إلى التمييز بين المصطلحات الثلاثة، ثمّ أنها تحاول تحديد المفاهيم التي يصير بها القول شعريا .

---

[1] -يمنى العيد ، في القول الشعري ، دار توبقال ،الدرا البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1987، ص12.

[2] -المرجع نفسه:ص10

[3] - المرجع نفسه: ص10 .

إذن، فليس تعريف يمنى العيد لسانيا بمقدار ما هو بلاغي، إذ لا تستند إلى المفهوم الحديث أو الخطاب إلا على مستوى العرض، ولكنها حين تقترح تحديدا فإنه ينبني على معرفتها اللغوية العامة و حسب [4].

و إذا رجعنا إلى النقد العربي القديم وجدناهم يفرقون بين اللفظ و القول، و ذلك حين قال الجرجاني : "إذا قيل لك إمرؤ القيس قائل هذا الشعر من أين جعلته قائلا له ... و ذلك ما لا سبيل إليه "[5]

فالتلفظ هنا ليس القول و إلا لكان راوي الشعر قائلا له ، و ليس الأمر كذلك " أما القول فهو ينطبق على منشئ الكلام دون راويه أو ناقله ، لذلك يمكن أن نقول كما قالوا : " كل قول لفظ لكنه لا ينعكس إذ ليس كل لفظ قولا . فالقول يقتضي بداية النشأة و به يكتسب الكلام اختصاصه بقائله"[6] .

فاللفظ بذلك يحتوي القول ، و القول يحتوي الجملة، و الجملة تحتوي الكلام فعلاقة القول باللفظ و الجملة و الكلام، هي علاقة احتواء الجنس للنوع .

كما يميز العرب الكلام عن القول ، نحو ابن جني حينما يقول: " و قد ثبت بما شرحناه ، وأوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، و التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها ، و ثبت أن القول عندنا أوسع من الكلام تصرفا و أنه قد يقع على الجزء الواحد ، و على الجملة، و على ما هو اعتقاد ، و رأي لا لفظ و جرس "[7]

فالعلاقة بين القول و الكلام ليست علاقة ترادف ، وإنما علاقة الخاص بالعام، فالكلام هو العام والقول يمثل الخاص . و هذا تمييز يسبق به ابن جني علم اللغة الحديث في

---

[4] - مهى محمود ابراهيم العتوم : تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث دراسة مقارنة في النظرية و المنهج ص27.

[5] -الجرجاني : دلائل الإعجاز، تح عبد المنعم الخفاجي ، مكتبة القاهرة ،القاهرة ، مصر، دط ، 1969، ص272.

[6] -محمد الشاوش : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية الع مج ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ط1 ، 2001، ص618.

[7] -ابن جني : الخصائص، ج1، تح: محمد على النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ،مصر، ط2 ، 1952، ص32.

تحـديد الكلام ، و علاقته بالقول ، و يسبق ثنائية دي سوسير الشهيرة (اللغة / الكلام) ، و ما انبنت عليها من ثنائيات أخرى تحدد العلاقة بين الكلام و الخطاب و النص.

والقول عند العرب لا يحتاج المرء إلى نطقه كالكلام، و إذا كان الكلام لا يقتضي ترتيبا وتناسبا و تناسقا، فالقول على العكس من ذلك . لكن ما علاقة القول بالخطاب بـناء على ذلك ؟ وهل هما مترادفان ؟ إن القول لا يتوفر على عناصر الرسالة اللغوية كما عمل على تحديدها دي سوسير و جاكبسون بعده ، و يمكن أن يكون القول متوجها من مرسل حاملا لرسالة دون تحديد الطرف الثالث الأكثر أهمية في علم اللغة الحديث، و في الدرس النقدي المعاصر ، أما الخطاب فإنه يقتضي هذا الطرف و يستوجب وجوده . و إذا كان الخطاب لا يتم فهمه و تحصيله إلاّ بقارئ فإن القول يحمل رسالته بذاته أو لا و بقائله ثانيا ، و بالتالي فإن الخطاب أوسع دلالة من القول، و ليست هنا علاقة ترادف ، و لا علاقة احتواء بل يمكن القول إنها علاقة امتداد، فالقول يمتد إلى خطاب و ليس العكس ، و أما تمام الدلالة و المعنى فلا يكون إلا بالنص .